

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES
(معهد الدوحة)



www.dohainstitute.org

دراسة

إسرائيل وفزاعة الإسلاميين في أعقاب الثورات العربيّة

صالح النعامي

سلسلة (دراسات وأوراق بحثية)

إسرائيل وفزاعة الإسلاميين في أعقاب الثورات العربية	
مقدمة.....	١
إسرائيل بين الديكتاتوريات والإسلاميين	٤
الثورات العربية ومأزق اليمين الإسرائيلي	٧
هواجس إسرائيل من مآلات التحوّل الديمقراطيّ في العالم العربيّ	١٠
ابتزاز الإدارة الأميركية.....	١٢
محاولة منع انهيار الصورة النمطية عن الحركات الإسلامية	١٥
المفاضلة بين الإسلاميين والعلمانيين	١٨
الخاتمة.....	٢٢

مقدمة

عكفت المؤسسة الحاكمة في إسرائيل والنخب المرتبطة بها على التشكيك في طابع ثورات التحوّل الديمقراطيّ في الوطن العربيّ وتحذير العالم من مآلاتها، زاعمةً أنّها سوف تُفضي إلى هيمنة الحركات الإسلاميّة على مقاليد الأمور في الدّول العربيّة. ولقد فطن رئيس الوزراء الإسرائيليّ بنيامين نتنياهو إلى إثارة مخاوف العالم من خلال تحذيره من تكرار تجارب، يبدي الغرب تجاهها حساسيّة خاصّة، لاسيّما تجربة الثورة الإسلاميّة في إيران التي انطلقت حركة احتجاج ضدّ نظام الشّاه وانتهت إلى إقامة الجمهوريّة الإسلاميّة. ولم يفته التحذير من أنّ مصر تنتظر مصيرًا مشابهًا في حال صعود الإسلاميّين إلى الحكم فيها كنتائج للثورة^(١).

لم يكتف نتنياهو بالتحذير من مخاطر وصول الإسلاميّين إلى الحكم، بل إنّه حاول إعطاء الانطباع بأنّه حريص على بروز تيار "ديمقراطيّ" منافس لهم؛ فدعا إلى تأسيس صندوق دوليّ لدعم خصوم الإسلاميّين في العالم العربيّ، ممّن أسماهم "ذوي التوجّهات الليبراليّة"، مشبّهًا هذه الخطة بخطة "مارشال" التي نفذتها الولايات المتّحدة في أعقاب الحرب العالميّة الثّانية لدعم أوروبا الغربيّة. وقد أرسل نتنياهو عيران ليرمان، مساعد مستشاره للأمن القوميّ إلى الولايات المتّحدة لبحث هذا المقترح مع قادة الكونغرس الأميركيّ^(٢).

وفي سعيها لشيطنه ثورات التحوّل الديمقراطيّ في العالم العربيّ، وتأليب العالم عليها؛ اقتفت النخب الإسرائيليّة أثر نتنياهو، وحرصت على استدعاء متلازمتي إيران وحركة "حماس"، والإيحاء بأنّ العالم بات على موعدٍ مع تكرار هاتين التجريبتين. فهناك من اعتبر أنّ ما حدث في مصر "انقلاب وليس ثورة"، لأنّ هذه الأحداث ستنتهي بوصول جماعة الإخوان المسلمين إلى الحكم، وأنّهم سيقيمون في مصر "النسخة السنّيّة للجمهوريّة الإسلاميّة في إيران". وشدّدوا على أنّه لا يوجد في مصر أيّ ميل نحو التحوّل الديمقراطيّ والحريّات، بل العكس تمامًا^(٣).

^١ يونتان ليس، "رئيس الوزراء: مصر يمكن أن تذهب باتجاه إيران"، هآرتس، ٧-٢-٢٠١١:

<http://www.haaretz.co.il/hasite/spages/1213820.html>

^٢ إيلي برندشتيان، "خطة نتنياهو لوقف صعود الإسلاميّين"، معاريف، ٨-٣-٢٠١١:

<http://www.nrg.co.il/online/1/ART2/219/690.html?hp=1&cat=404>

^٣ دافيد باكعي، "ليست ثورة بل انقلاب"، وكالة سما الإخبارية، عن يديّ عوت أحرنوت، ١٤-٢-٢٠١١:

<http://www.samanews.com/index.php?act=Show&id=88026>

ولقد حدّر يوسي بيلين^(٤) من أنّ تسليم العالم بنقل مقاليد الأمور للإسلاميين في أعقاب الثورات العربية يمثلّ "عملاً غير مسؤول"، مدّعياً أنّ الرئيس أوباما عاد إلى "الخطأ" نفسه الذي وقع فيه الرئيس الأميركيّ الأسبق جيمي كارتر الذي "تخلّى" عن الشّاه، ما أدّى في النّهاية ليس فقط إلى سقوط الحكم الإمبراطوريّ في طهران، ولكن أيضاً إلى تغيير جذريّ في المنطقة بأسرها^(٥). وزعم إيتان هابر^(٦) أنّ الثّورة في مصر تحديداً، تشكّل نقطة تحوّل "فارقة" نحو القطيعة بين مصر والعلمانيّة والغربيّة؛ متوقّعا أنّ "تنافس الصّور التي ستأتي من مصر، تلك التي تصل من إيران التي تحرّك الأحداث من وراء الكواليس، من أجل تحقيق هدفٍ رئيس واحد، وهو القضاء على أجواء السّلام والمصالحة مع إسرائيل"^(٧). في حين اعتبر إلباكيم هعتسني، أحد قادة المستوطنين في الضّفّة الغربيّة أنّ وصول الإسلاميين "الحنميّ" إلى الحكم بفضل الثّورات العربية، سيشكّل دعماً كبيراً لحكم حركة حماس، ممّا يمثلّ تهديداً استراتيجياً لإسرائيل؛ معتبراً أنّ وصول الإسلاميين المتوقّع إلى الحكم في مصر يعني تقليص قدرة تل أبيب على العمل ضدّ الحركة، على اعتبار أنّ هناك إمكانيّة كبيرة أنّ يزوّد الحكم الجديد في مصر حركة حماس بتجهيزات ومعدّات حربيّة لوجستيّة دفاعيّة تقيد قدرة إسرائيل على إلحاق الأذى بالحركة، علاوةً على أنّه لا يستبعد أنّ تقف مصر -تحت حكم الإسلاميين- خلف عمليّات عسكريّة على طول الحدود مع إسرائيل^(٨).

وإزاء المواقف العلنيّة التي تحاول تحريض العالم على الثّورات العربية من خلال إثارة فزاعة الإسلاميين، نجد أنّ المسؤولين الإسرائيليّين يُبدون في الغرف المغلقة ارتياحاً لسيطرة حركة حماس على مقاليد الأمور في قطاع غزّة، مع العلم أنّهم في العلن يواصلون الدّعوة لإسقاط حكم الحركة.

إنّ التناقض الذي تعكسه التّقييمات التي تصدر عن المسؤولين الإسرائيليّين في الحكم في العلن وفي الغرف المغلقة بشأن طابع تجارب الحركات الإسلاميّة، يستدعي محاولة البحث عن مرامي إسرائيل الحقيقيّة من

^٤ الرئيس السابق لحركة "ميريتس" اليسارية، تولى منصب وزير العدل في حكومة إيهود براك (١٩٩٩-٢٠٠١).

^٥ يوسي بيلين، "أين كان أوباما"، موقع وله الإخباري، ٣٠-١-٢٠١١،

<http://news.walla.co.il/?w=/2680/1786307>

^٦ مدير ديوان رئيس الوزراء العماليّ الأسبق يتسحاق رابين، صحافي ومعلق سياسي بارز

^٧ إيتان هابر، "السنة اللهب الخفيّة"، يديعوت أحرنوت، ٢٣-٢-٢٠١١.

^٨ إلباكيم هعتسني، "مؤامرة لقطع كل صلة"، وكالة سما الإخبارية، عن يديعوت أحرنوت، ١٤-٢-٢٠١١،

<http://www.samanews.com/index.php?act=Show&id=88250>

إدارة حملتها الهادفة إلى نزع الشرعية الدولية عن الثورات العربية من خلال زعم أنها ستفضي إلى سيطرة الإسلاميين على الحكم.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في محاولة إسرائيل التغطية على الأهداف الحقيقية الكامنة وراء تحذيرها من سيطرة الإسلاميين على الحكم في أعقاب اندلاع ثورات التحول الديمقراطي في العالم العربي. وسيحاول البحث الإجابة عن السؤال الرئيس التالي: ما الأهداف التي تسعى إسرائيل إلى تحقيقها من خلال إثارة الفزع من وصول الإسلاميين إلى الحكم في أعقاب اندلاع الثورات العربية؟

أهمية البحث:

يكتسب هذا البحث أهمية خاصة كونه يسلط الضوء على الآليات المتبعة من قبل إسرائيل لشيطنة ثورات التحول الديمقراطي في العالم العربي وأهدافها من ذلك، بما قد يساعد في بناء إستراتيجية عربية لمواجهةها وإفشالها.

أهداف البحث:

يرمي البحث إلى تعرّف أهداف الحملة الإسرائيلية لإثارة فزع العالم من وصول إسلاميين إلى الحكم في العالم العربي. وهناك عددٌ من الأهداف المكتملة:

- 1- تعرّف العلاقة بين التحريض على الإسلاميين وارتباط مصالح إسرائيل ببقاء الأنظمة الديكتاتورية في العالم العربي.
- 2- استشراف أنماط سلوك إسرائيل تجاه التسوية السياسية للصراع مع العرب في ضوء الحملة على الإسلاميين.
- 3- رصد هواجس إسرائيل من تداعيات التحول الديمقراطي في العالم العربي.
- 4- تبيان توظيف إسرائيل فزاعة الإسلاميين في ابتزاز الإدارة الأميركية.
- 5- فهم الآليات الإسرائيلية المتبعة في محاولة الإبقاء على الصورة النمطية للإسلاميين.
- 6- معرفة الاعتبارات الأساسية التي تحدّد إسرائيل على ضوءها مواقفها من التيارات السياسية في العالم العربي.

أسئلة البحث:

- ١- ما العلاقة بين تحريض إسرائيل على الإسلاميين وارتباطها بالأنظمة الديكتاتورية العربية؟
- ٢- ما مستقبل التسوية السلمية للصراع العربي-الإسرائيلي في أعقاب التحريض الإسرائيلي على الإسلاميين؟
- ٣- ما الهواجس الإسرائيلية من تداعيات التحوّل الديمقراطي في العالم العربي؟
- ٤- ما الآليات التي تتبعها إسرائيل في محاولاتها الإبقاء على الصورة النمطية للإسلاميين؟
- ٥- ما الاعتبارات الأساسية التي تحدّد إسرائيل على ضوءها مواقفها من التيارات السياسية في العالم العربي؟

منهج البحث:

يعتمد الباحث على منهج يمزج بين أدوات المنهج الوصفي والاستقرائي وأدوات المنهج التحليلي الاستنباطي، التي تعتمد على المتابعة اليومية والدقيقة للمصادر الإسرائيلية ومواقف المسؤولين والنخب الإسرائيلية من ثورات التحوّل الديمقراطي في العالم العربي.

إسرائيل بين الديكتاتوريات والإسلاميين

هناك الكثير من المؤشرات الواضحة التي تدلّ على أنّ حرص إسرائيل على إثارة الفزع من الثورات العربية عبر التحذير من صعود الإسلاميين، يأتي تعبيراً عن المرارة من خسارة إسرائيل "مزايا" الأنظمة الديكتاتورية التي كانت ترتبط بها في العالم العربي. وهناك فيضٌ من التصريحات الإسرائيلية الرسمية التي تشير إلى تعلق تل أبيب بشكل أساسي بالأنظمة الحكم الديكتاتورية. ومما يدلّ على أنّ التحذير من الإسلاميين يهدف أساساً إلى الحفاظ على الأنظمة الديكتاتورية التي لم تشكل تحدياً لإسرائيل، حقيقة أن نتنياهو -الذي يخرج عن طوره في التحذير من أنّ تفضي الثورات العربية إلى سيطرة الإسلاميين- هو تحديداً الذي سعى بكلّ قوّة إلى الحفاظ على الأنظمة الديكتاتورية. فقد أقام نتنياهو في ديوانه خلية عمل أواخر كانون الثاني/يناير ٢٠١١ بهدف تنظيم حملة سياسية ودبلوماسية لإقناع دول العالم بعدم السماح بخلع مبارك^(٩). ولم يتردد في الإفصاح عن سرّ حرصه على بقاء مبارك، حيث أوضح أنّ الرئيس المصري المخلوع كان حليفاً حيوياً جداً

^٩ كشفت القناة الأولى للتلفزيون الإسرائيلي في نشرة الساعة الثامنة المسائية بتاريخ ٢٠١١-٢-١ أن نتنياهو ظل بجوار الهاتف مدة أربع ساعات وهو يتولى شخصياً إجراء اتصالات هاتفية مع قادة أوروبيين وكبار المشرعين في الكونغرس الأميركي لحثهم على التحرك ضد السماح بإسقاط نظام مبارك. وتناول معهم أفكاراً تسمح ببقاء النظام حتى لو وافق مبارك على التخلي عن كرسي الحكم.

لإسرائيل وأنّ هناك مخاطرَ تترصّب باتفاقية كامب ديفيد في حال تحيّه^(١٠). وممّا يدلّ على أنّ نتتياهو غير معنيّ بتولّي أنظمة حكم ديمقراطيّة مقاليد الأمور في العالم العربيّ، حرصه في كلّ لقاء له مع الرّعاء والصّحفيّين والمفكرين الأجانب الذين يلتقيهم في إسرائيل وخارجها على التّفاخر أمامهم بأنّ إسرائيل تمثّل الدّيمقراطيّة الوحيدة في منطقةٍ تسود فيها الديكتاتوريات^(١١). فإنّ كان نتتياهو معنيّاً بتحوّل المنطقة إلى الدّيمقراطيّة، فلماذا كان الوحيد من بين زعماء العالم الذي بذل جهداً هائلاً من أجل الحفاظ على نظام مبارك؟

وقد كان رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيليّ المنصرف جابي أشكنازي أكثر المسؤولين الإسرائيليّين وضوحاً في التّعبير عن ارتباط المصالح الإسرائيليّة بالأنظمة الديكتاتوريّة، عندما قال: "في كلّ ما يتعلّق بالشرق الأوسط، فإنّ الاستقرار بالنسبة إلى إسرائيل أفضل من الدّيمقراطيّة"^(١٢).

ومن المهمّ تذكّر العبارة الشهيرة التي صدرت بشكل عفويّ ومعبرٍ عن وزير البنى التّحتيّة الإسرائيليّ السابق بنيامين بن إليعازر، الذي وصف الرّئيس مبارك بأنّه كان "كنزاً استراتيجياً لإسرائيل". فمن الواضح أنّ إسرائيل لا يمكنها توقّع أنّ يخلف مبارك في حكم مصر سياسيّ سيجاريه في مراعاة مصالح إسرائيل، وبالتّالي جاء التّحذير من تداعيات وصول الإسلاميين إلى الحكم^(١٣). ويؤكّد رئيس تحرير صحيفة "هآرتس" الإسرائيليّة أنّ مصر في عهد مبارك كانت بمثابة "حارسٍ لإسرائيل"، مشيراً إلى أنّ إسرائيل وجدت مصلحتها في استقرار الأنظمة الاستبداديّة في الدّول العربيّة المجاورة^(١٤).

ويهدف التّحذير من صعود الإسلاميين بشكل خاصّ إلى الحفاظ على الرّواية الرّسميّة الإسرائيليّة القائلة إنّ زوال أنظمة الاستبداد في العالم العربيّ سيكون مقترناً بالضرورة بصعود حتميّ وخطير للحركات الإسلاميّة، ممّا يُوجبُ على العالم عدم المساعدة في تحقيق هذا السيناريو. ويقرّ يوسي بيلين بأنّ الحكومات الإسرائيليّة

^{١٠} ألوف بن، "نتتياهو بات مشتاقاً"، موقع صحيفة هآرتس، ٢-٢٠١١،

<http://www.haaretz.co.il/hasite/spages/1212916.html>

^{١١} يوسي فيرتز، "رمال متحركة"، هآرتس، ٤-٢٠١١، <http://www.haaretz.co.il/hasite/spages/1212268.html>

^{١٢} أشكنازي، "الاستقرار أفضل من الديمقراطية"، يديعوت احرونوت، ١١-٢٠١١.

^{١٣} للاطلاع على شهادات إسرائيلية عن مدى استفادة إسرائيل من الأنظمة الشمولية في العالم العربي، وتحديدًا نظام مبارك، انظر: "عمر سليمان وإسرائيل: شهادات من العيار الثقيل"، وكالة "صفا" الإخبارية، ٥-٢٠١١،

<http://www.safa.ps/ara/?action=showdetail&seid=40838>

^{١٤} ألوف بن، "مصر كانت الحارس الشخصي لإسرائيل"، وكالة سما الإخبارية، ٣٠-٧-٢٠١١،

<http://www.samanews.com/index.php?act=Show&id=101866>

المتعاقبة كانت دوماً تفضّل الأنظمة الديكتاتورية، على اعتبار أنّ هذه الأنظمة تكون في العادة "برغماتية" وتكتفي بدفع ضريبة كلامية في دعمها للفلسطينيين، لكنّها في الخفاء لا تتردّد في إقامة تحالفات مع إسرائيل، عكس الأنظمة الديمقراطية التي تخضع للرقابة وتكون مطالبة باتخاذ قراراتها على أساس شفاف^(١٥). ويستدلّ بيلين على ما يقول بما تضمّنته وثائق "ويكيليكس"، التي أظهرت بشكل واضح أنّ الأنظمة العربية كانت معنية بمواجهة إيران وبرنامجها النوويّ أكثر ممّا هي معنية بمواجهة إسرائيل، وأنّها لا تُلقِي في الواقع بالألّا لمعاونة الفلسطينيين، ولا تأبه كثيراً بحلّ القضية الفلسطينية^(١٦).

ولقد ارتبط مفهوم "استقرار الشرق الأوسط" في الخطاب السياسيّ الإسرائيليّ ببقاء أنظمة الحكم الديكتاتورية في العالم العربيّ، بحيث أنّ إسرائيل اعتبرت أنّ أيّ محاولة لإسقاط هذه الأنظمة تهدد "لاستقرار" المنطقة. ويستدلّ من خلال الجدل الداخليّ الإسرائيليّ على أنّ النخب الحاكمة في تل أبيب تميل بشكل واضح إلى تفضيل بقاء الأنظمة الشمولية في العالم العربيّ، حتّى لو كانت تنتمي إلى ما يُعرف بـ "محور الممانعة"، كما هي الحال في دول "الاعتدال"، على اعتبار أنّها "ضمانة للاستقرار"^(١٧). ومن نافلة القول أنّ "استقرار" المنطقة يضمن لتل أبيب تحقيق مصالحها الإستراتيجيةّ، بغضّ النظر عن المعاونة التي يكابدها مئات الملايين من المواطنين العرب تحت سيطرة الأنظمة الديكتاتورية.

ويعني "الاستقرار" أنّ تُواصل إسرائيل التملص من استحقاقات أيّ تسوية سياسية للصراع حتّى في حدودها الدّنيا بالنسبة إلى العرب والفلسطينيين، فهي تعي أنّ كلّ ما يعني أنظمة الاستبداد في العالم العربيّ هو

^{١٥} يوسي بيلين، "قبل أن يكون متأخراً جداً"، صحيفة إسرائيل اليوم،

http://www.israelhayom.co.il/site/newsletter_opinion.php?id=٥٥٧٦

^{١٦} للمزيد من التفاصيل حول رهانات إسرائيل على أنظمة الحكم، انظر: صالح النعامي، "الذعر الإسرائيلي من الثورة التونسية"، الجزيرة نت، ٣٠-١-٢٠١١

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/1DA92٥٦٤-ACEF-٤٠٥E-9١BC-A٠٢٣B9٣٦F9AC.htm>

^{١٧} للاطلاع على ما يدلّ على رهانات إسرائيل على بقاء أنظمة "الممانعة"، كما هي الحال مع أنظمة "الاعتدال"، انظر: صالح النعامي، "إسرائيل والانتفاضة السورية: الرهان على أقل الخيارات سوءاً"، مركز الجزيرة للدراسات، ١٥-٥-٢٠١١،

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/BF1A9D٤١-٧٤ED-٤٨9E-B٨٤٦-BEE1C٢٠1CV٠٤.htm>

وأيضاً: صالح النعامي، "إسرائيل والملكية الدستورية في الأردن"، الجزيرة نت، ١٤-٤-٢٠١١،

<http://www.aljazeera.net/NR/EXERES/F٥٥BD٠٧٤-F٥C٣-٤E٥F-٨٦٣١-FA1CB٥٧F9٢٤١.htm>

وكذلك: محمود ميحي، "إسرائيل: سقوط القذافي بعد مبارك خطر على إسرائيل"، صحيفة اليوم السابع، ١٦-٣-٢٠١١،

<http://www.youm7.com/News.asp?NewsID=٣٧٠٧٥٨>

بقاؤها فقط، وبالتالي فهي لن تبادر إلى تغيير أنماط العلاقة القائمة مع إسرائيل لأن حكوماتها ترفض الوفاء بمتطلبات تسوية الصراع.

ويرى الصحفي وال كاتب الإسرائيلي جدعون ليفي أن إسرائيل واصلت لعقود -بفضل "الاستقرار" - حرمان الفلسطينيين الذين يعيشون تحت الاحتلال الإسرائيلي من حقوقهم السياسية، وحرمان اللاجئيين الفلسطينيين من حق العودة^(١٨). ويواصل ليفي تفكيك مصطلح "الاستقرار"، الذي تخشى إسرائيل أن يمسّ به تفجر ثورات التحول الديمقراطي في العالم العربي، مشيراً إلى أن: "الاستقرار الذي تشتهي إسرائيل تواصله يشمل الإبقاء على عشرات الملايين من الفقراء في مصر، في حين تواصل عائلة الحكم التمتع بثروة قوامها مليارات الدولارات ... الاستقرار يعني تضخم أجهزة الأمن التي كل ما يعينها الحفاظ على نظام الحكم، وذلك على حساب الموازنات التي كان من المفترض أن تخصص للصحة والتربية والتطوير والرّاه الاجتماعيين... الاستقرار يعني سلطةً سياسيةً وراثيةً تنتقل من الأب إلى الابن، وانتخابات مزورة لا يجوز فيها التنافس إلا لممثلي الأحزاب الحاكمة فقط. إسرائيل معنية بالاستقرار ولو كان عبر استمرار الحروب الأهلية في العالم العربي أو الحروب بين الدول العربية، أو في ظلّ تعاظم مظاهر الفساد"^(١٩).

إنّ تهويل ننتياهو وصول الإسلاميين إلى الحكم يمثل في الواقع رفضاً لأيّ تغيير في المنطقة، على اعتبار أنّ هذا التغيير يتعارض مع المصالح الإسرائيلية، المرتبطة بوجود الأنظمة الديكتاتورية في العالم العربي؛ حيث تحاول إسرائيل ببساطة الحفاظ على النظام القديم في الشرق الأوسط. إنّ ننتياهو -كما هي حال بقية زعماء إسرائيل- يفضل التعامل مع الحكام الطغاة في العالم العربي، مثل مبارك وأشباهه بشرط أن يضمنوا الحفاظ على الوضع القائم وأن يتولوا قمع الأطراف التي تحاول تغيير هذا الواقع.

الثورات العربية ومأزق اليمين الإسرائيلي

على الرغم من أنّ النّخب الإسرائيلية، سواء المنتمية للييسار أو اليمين، قد شكّكت في طابع الثورات العربية ومآلاتها، واشتركت في التحذير من تداعيات وصول الإسلاميين إلى الحكم، إلا أنّ اليمين الإسرائيلي حرص بشكل خاصّ على توظيف الثورات العربية لإضفاء صدقية على مواقفه الأيديولوجية من الصراع، والتي تقوم على رفض أيّ تسوية سياسية تستند إلى مبدأ الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة، وذلك بطرح الحجّة

^{١٨} جدعون ليفي، "في ذمّ الاستقرار"، هآرتس، ١٠-٢-٢٠١١، <http://www.haaretz.co.il/hasite/spages/1214608.html>

^{١٩} المرجع نفسه.

التالية: إن كانت الحركات الإسلامية هي التي ستتولى مقاليد الأمور في العالم العربي، فلماذا على إسرائيل أن تتسحب من أراضٍ تشكّل ذخراً إستراتيجياً لها. فالحركات الإسلامية -حسب خطاب اليمين الإسرائيلي- في حال وصولها إلى الحكم ستجد نفسها في حلٍّ من أيّ اتفاقيات وقّعت عليها الحكومات السابقة، ممّا يوقع إسرائيل تحت وطأة تهديدٍ وجوديٍّ، في حال نشبت حربٌ بينها وبين أطراف عربية. ونجد أنّ الكثير من نخب اليمين تحديداً تكرر الارتكاز على هذه الحجّة.

يرى فيورام إيتنغر، مدير مركز "بمحفاه" اليميني، أنّ الثورات العربية ستقود الإسلاميين إلى الحكم؛ وبالتالي فإنّ هذا الواقع سيؤسّس لاندلاع المزيد من الحروب بين إسرائيل والعرب، وهو ما يوجب على إسرائيل عدم التفرّط في الضفّة الغربية في أيّ تسوية سياسية مع الفلسطينيين، على اعتبار أنّ إسرائيل لا يمكنها مواصلة البقاء دون الضفّة الغربية لقربها من التجمّعات السكانية الكبيرة داخل إسرائيل، حيث أنّ السيطرة على الضفّة الغربية تمنح إسرائيل فرصةً للاستعداد وأخذ الاحتياطات الأمنية في حال تعرّضت لحرب فجأة^(٢٠). ومن أجل دبّ الدّعر في صفوف الإسرائيليين، فإنّ إيتنغر يحذّر من أنّ نتائج الحروب العربية الإسرائيلية التي ستندلع بعد الثورات العربية ستكون أكثر خطورة من نتائج حرب عام ١٩٧٣، في حال انسحب الجيش الإسرائيلي من الضفّة الغربية؛ مشيراً إلى أنّ إسرائيل ستكون في هذه الحالة مجردة من أيّ عمق إستراتيجي^(٢١). ولا يفوت إيتنغر التّحذير من أنّ وصول الإسلاميين سيجعل إسرائيل في مواجهة تداعيات اجتماعية وديمقراطية خطيرة جدّاً، حيث يزعم أنّ وصول الإسلاميين إلى الحكم يعني أنّهم سيحرصون على تدفّق المهاجرين الأفارقة عبر الحدود بين إسرائيل ومصر.

لكن السؤال الذي يُطرح بالحاح هنا، هو: لماذا كان اليمين تحديداً أكثر التيارات السياسية في إسرائيل التي حرصت على التّحريض على الثورات العربية من خلال التّحذير من مآلات سيطرة الإسلاميين على الحكم في أعقابها؟

لقد انبرى للإجابة عن هذا التساؤل البروفسور أودي زومر، أستاذ العلوم السياسية في جامعة تل أبيب. ويرى زومر أنّ أحد أهم أسباب حالة الصدمة التي اجتاحت التيارات السياسية المختلفة في إسرائيل -وعلى وجه الخصوص اليمين- في أعقاب الثورات العربية، وتوسّعها في التعبير عن الخشية من فوز الإسلاميين،

^{٢٠} فيورام إيتنغر، "لقد أصبحت مصر وتونس هنا! في الضفّة الغربية"، يديعوت أحرنوت، ٣٠-١.

^{٢١} <http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-402149,00.html>

المرجع نفسه.

هو الفرضية التي حكمت التفكير الإستراتيجي الإسرائيلي على مدى عقود من الزمان والقائلة إنّ الأوضاع الداخليّة في العالم العربيّ غير مرشحة للتغيير، وبالتالي بإمكان إسرائيل التّشبّث بمواقفها التّقليديّة من الصّراع دون أن تخشى ردّة فعل عربيّة جادّة^(٢٢).

ويصل زومر إلى استنتاج بالغ الأهميّة عندما يقول إنّ هذه الفرضية هي التي ضمنت في النهاية انزياح الجمهور الإسرائيليّ نحو اليمين المتطرّف، على اعتبار أنّ الرّأي العامّ الإسرائيليّ لم يلمس أنّ تبنّي المواقف المتطرّفة قد اقترن بخسارة إسرائيل الكثير في مواجهتها مع العالم العربيّ. ويرى زومر أنّه لم يكن بالإمكان أن يكون شخصٌ محدود القدرات، مثل وزير الخارجيّة الحاليّ أفيغور لبيرمان، مرشّحاً محتملاً لرئاسة الوزراء لولا تشرّب الرّأي العامّ هذه الفرضية، ولولا سيادة هذا الانطباع^(٢٣). من هنا، فإنّ اليمين الإسرائيليّ يخشى أن يُفسي إدراك الجمهور الإسرائيليّ للمخاطر التي تنطوي عليها التّحوّلات في العالم العربيّ إلى انفضاض مزيد من القطاعات السكّانية عنه. وهذا ما يفسّر الحساسيّة التي نظرت بها النّخب اليمينيّة إلى الثّورات العربيّة، وجعلها تحاول بثّ الدّعر عبر التّحذير من مخاطر وصول الإسلاميين إلى الحكم، هذا من جانب، ومن جانب آخر محاولة إقناع الجمهور الإسرائيليّ أنّ الواقع الجديد الذي طرأ في العالم العربيّ يتطلّب اتّخاذ سياسات متشدّدة وحاسمة، لا يمكن أن يبلورها إلاّ اليمين. لقد حاول اليمين الإسرائيليّ دومًا تكريس انطباع مفاده أنّ سياساته هي الأصلح للتعامل مع العرب. وقد وجد هذا الانطباع أوضح تجسيد له في الحملات الانتخابيّة لحزب "الليكود" اليمينيّ الحاكم، إذ أنّ هذا الحزب دأب على رفع شعار: "فقط الليكود يستطيع".

ويُستدلّ ممّا تقدّم أنّ الحساسيّة التي يبديها اليمين الإسرائيليّ تجاه الثّورات العربيّة مرتبطة بشكلٍ أساسٍ بقلقه على تماسك تصوّره الأيديولوجيّ للصّراع مع العرب في أعقاب تفجّر الثّورات العربيّة، وخشيته من تقلّص حجم التأييد الشّعبيّ له، وبالتالي فهو بات يحاول جاهداً التّدليل على أنّ اندلاع الثّورات العربيّة يشكّل دليلاً على وجاهة مواقفه من الصّراع، وذلك عبر محاولة بثّ الفزع من تمكّن الإسلاميين من السّيطرة على مقاليد الأمور في أعقاب اندلاع هذه الثّورات.

من هنا، يمكن القول إنّ إسرائيل تحت قيادة اليمين الإسرائيليّ ستزيد في أعقاب تفجّر الثّورات العربيّة في تشدّدها إزاء مشاريع التّسوية التي تُطرح لحلّ الصّراع.

^{٢٢} أودي، زومر، "الليبرمان: انتبه!"، يديعوت أحرّوت، ١-٣-٢٠١١، <http://www.ynet.co.il/articles/0,7340.L-4030904000.html>
^{٢٣} المرجع نفسه.

هواجس إسرائيل من مآلات التحوّل الديمقراطيّ في العالم العربيّ

لقد فَطِنَت إسرائيل منذ زمن بعيد إلى حقيقة أنّ أيّ نهضة عربيّة شاملة تمثّل منطلقاً لتغيير موازين القوى القائمة حالياً والتي تميل لصالح إسرائيل، وترتبط أساساً بحدوث تحوّل ديمقراطيّ حقيقيّ في العالم العربيّ، ما يفضي إلى ولادة أنظمة سياسيّة تتبنّى مشاريع نهضويّة حقيقية. ولقد أدركت إسرائيل أنّ حدوث التحوّلات الديمقراطيّة في العالم العربيّ يتوقّف بشكل أساسي على وجود طبقة وسطى عريضة ومؤثّرة؛ لذا فقد سعت تل أبيب إلى أن تسهم سياساتها تجاه العالم العربيّ بشكل غير مباشر في إضعاف هذه الطبقة. وإحدى أهمّ الآليات التي اتبعتها إسرائيل لتحقيق هذا الهدف هي تقليص الخيارات المتاحة أمام الطبقة الوسطى العربيّة في كلّ ما يتعلّق بهويّتها الوطنيّة وموقفها من إسرائيل. وقد أصبح أمام هذه الطبقة خياران لا ثالث لهما: فإمّا الانضمام للحركات الإسلاميّة، وإمّا أن تكون جزءاً من البنى المجتمعيّة المرتبطة بأنظمة الحكم الديكتاتوريّة، والتي تجد مصالحها في كلّ ما يضمن استقرار الأنظمة القائمة؛ لذا أبدت هذه البنى حماساً زائفاً تجاه التّسويات مع إسرائيل^(٢٤).

لقد ربطت إسرائيل الرّسميّة بين اندلاع ثورات التحوّل الديمقراطيّ والتحوّلات التي طرأت على فاعليّة الطبقة الوسطى في بعض الدّول العربيّة^(٢٥).

ومن الواضح أنّ إسرائيل لا ترتاح إطلاقاً للحركات الإسلاميّة وشعاراتها، لكنّها في الوقت نفسه تفضّل أن يتمّ تسليط الضّوء على هذه الحركات على اعتبار أنّ مواجهة هذه الحركات تسهّل بناء تحالفات عريضة تقاومها وتحاربها، بحيث يلعب المكوّن "الوطني" ممثلاً في الأنظمة الحاكمة الدّور الحاسم في هذه الحرب وتلك المقاومة، كما يسهم الغرب بدورٍ مهمّ فيها. ففزاعة البديل الإسلاميّ تغري الأنظمة بالتصدّي للحركات الإسلاميّة، وذلك بغريزة الرّغبة الجامحة في البقاء. كما أنّ طرح الحركات الإسلاميّة رؤى عالميّة لتغيير الواقع تحركها أشواق الماضي البعيد، يثير الرّعب لدى الغرب على وجه الخصوص.

إنّ ما يثير فزع الإسرائيليّين في كلّ ما يتعلّق بدور الطبقة الوسطى في العالم العربيّ في ظلّ الثّورات العربيّة، يتمثّل في التّالي:

^{٢٤} سافي راخلفسكي، "شرق أوسط تركي"، هآرتس، ١٥-٢-٢٠١١، <http://www.haaretz.co.il/hasite/spages/1210409.html>

^{٢٥} لقد ورد هذا الربط في الإفادة التي قدمها رئيس شعبة الاستخبارات العسكريّة أفيف كوخافي أمام لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست، ونقلت مقتطفات منها القناة الأولى للتلفزيون الإسرائيلي في نشرة أخبار الساعة الثامنة مساءً بتاريخ ٢٢-٦-٢٠١١.

أولاً: استيقاظ الطبقة الوسطى من سباتها العميق ودورها الحاسم في إنجاح ثورتَي تونس ومصر.

ثانياً: الخوف من أن تسهم رياح الثورة العربية في تقليص الفروق بين الأجنحة التي ترفعها النخب الإسلامية وتلك التي تتبناها النخب العلمانية في الوطن العربي، بحيث يتم التوافق على برامج عمل تؤسس لولادة أنظمة سياسية تحكمها قيم الديمقراطية، تأخذ على عاتقها القيام بالمشاريع النهضوية، لاسيما من ذلك النوع الذي تخشاه إسرائيل، في ظلّ أقلّ قدر من الرّفص الدوليّ.

من هنا جاء السعي الإسرائيليّ لشيطننة الثورات العربية، والتشكيك في مآلاتها، في محاولة لإقناع العالم بأنه لا يمكن لهذه الثورات أن تفضي إلى ولادة أنظمة ديمقراطية؛ على أمل أن تسهم ردة فعل القوى العالمية في نزع الشرعية عن هذه الثورات، أو على الأقلّ التحرك بشكل علنيّ وخفيّ لفرض قيودٍ عليها.

إنّ أحد أبرز مظاهر التشكيك في الثورات العربية تمثّل في حرص المستويات الإسرائيلية الحاكمة والنخب المرتبطة بها على وصف ثورات التحول الديمقراطيّ في العالم العربيّ بـ "الانقلاب" (هفيخاه)، وليس ثورة (مهفخاه)، فكثرت في الصحف الإسرائيلية المقالات التي حملت عنوان: "انقلاب وليس ثورة".

واللافت للنظر أنّ مرامي النخب الإسرائيلية الحاكمة من التحذير من وصول الإسلاميين إلى الحكم لم تنطل على بعض النخب الإسرائيلية ذات التعاطي الموضوعي، والتي اعتبرت أنّ تحذيرات نتياهو وملاحظاته إزاء الدور المستقبليّ للإسلاميين تنطوي على تعاطٍ عنصريّ يهدف إلى نزع الشرعية عن حقّ المواطن العربيّ في لعب دورٍ في تصميم السياسات العامة لبلاده. وهذا بالضبط ما دفع الكاتب الإسرائيليّ تسفي بارنيل إلى أن يشير إلى أنّ تشديد الطبقة الحاكمة في تل أبيب والنخب المرتبطة بها على أنّ الثورات العربية ستنتهي بسيطرة الإسلاميين يهدف بشكلٍ أساسيّ إلى بلورة انطباع مفاده أنّ العرب لا يستحقّون الديمقراطية^(٢٦). ويشير إلى أنّ أيّ نظام حكم ديمقراطيّ نيابيّ سيسمح حتماً لكلّ القوى الاجتماعية بالتعبير عن نفسها،

^{٢٦} تسفي بارنيل، "مبارك إلى السعودية أو تل أبيب"، القدس العربي، ٢-٢-٢٠١١، عن هآرتس،

<http://www.alquds.co.uk/index.asp?fname=today\02qpt900.htm&arc=data\2011\02\02->

وضمنها القوى المتديّنة؛ مذكّرًا بحقيقة أنّ الإدارة الأميركية السابقة كانت مرتبطة بشكل كبير بالأصوليين البروتستانت، الذين هم في الوقت نفسه أوثق حلفاء إسرائيل في الولايات المتحدة^(٢٧).

ولقد كان في إسرائيل من دعا النّخب الحاكمة إلى استخلاص الاستنتاجات الموضوعيّة ممّا حدث في مصر، بدلًا من إثارة المخاوف من وصول الإسلاميين إلى الحكم، وعلى رأس هذه الاستنتاجات التسليم بأنّ الجمهور العربيّ لم يعد مستعدًّا لمنح ثقة غير محدودة لقيادته على المستوى الحزبيّ، الاقتصاديّ أو السياسيّ، حيث أنّ هذا جمهورٌ يرى نفسه متساوي القيمة - وإن لم يكن متساوي القوّة - مع الجمهور في الدّول الغربيّة^(٢٨).

ويشدّد الكاتب الإسرائيليّ حجابي إلعاد على أنّ التّحذير الإسرائيليّ من إمكانية وصول الإسلاميين إلى الحكم، وزعم أنّ العرب سيّجّهون حتمًا إلى الديكتاتوريّة، ينطوي على أبعاد عنصريّة. ويرى أنّ لسان حال النّخب الحاكمة والمعلّقين في إسرائيل - وتحديدًا المستشرقين منهم - يقول: "الديمقراطيّة كبيرة على العرب"، فالإسرائيليّون - في نظره - لا يريدون أن يُسلّموا بأنّ العرب يقدرّون على إدارة شؤونهم بشكل ديمقراطيّ^(٢٩).

ويبيّن ممّا تقدّم أنّ إسرائيل تخشى مآلات التّحوّل الديمقراطيّ في العالم العربيّ، وهو ما يفسّر السّعي الإسرائيليّ إلى شيطنة الثّورات العربيّة عبر طرح فزاعة الإسلاميين.

ابتزاز الإدارة الأميركيّة

لقد حرصت النّخب الإسرائيليّة بشكل واضح ومثابر على مهاجمة سلوك الرّئيس الأميركيّ باراك أوباما، وتحميله المسؤوليّة عن سقوط أنظمة "الاعتدال" العربيّة، سيّما نظام الرّئيس مبارك، متجاهلة حقيقة أنّ إدارة أوباما لم تضغط على مبارك للتّخّي إلاّ بعد أن أدركت أنّ الجماهير في طريقها لتحقيق هذا الهدف بالقوّة، علاوة على أنّ ما فكّرت فيه الإدارة الأميركيّة لم يتجاوز التّضحية بمبارك والإبقاء على نظامه. فقد سعت إسرائيل من خلال التّهويل من مخاطر وصول الإسلاميين إلى الحكم إلى تقليص هامش المناورة أمام الإدارة الأميركيّة، وتحميلها جزءًا من المسؤوليّة عن أيّ تداعيات لسيطرة الإسلاميين على أنظمة الحكم في العالم

^{٢٧} المرجع نفسه.

^{٢٨} افتتاحية هارتس، عن موقع وكالة "سما" الإخبارية، ٢٠١١-١-١٤.

^{٢٩} <http://www.samanews.com/index.php?act=Show&id=٨٧١٢٣>

ألون إلعاد، "هؤلاء ليسوا جاهزين بعد للديمقراطية"، معاريف، ٢٠١١-١-٣٠.

<http://www.nrg.co.il/online/١/ART٢/٢٠٦/٢٢٠.html?hp=١&cat=٤٧٩>

العربي في أعقاب الثورات العربية. وقد حاولت النخب الإسرائيلية من خلال مهاجمة السلوك الأميركي في خضم الثورات العربية، إلى تحقيق الأهداف التالية:

أولاً: تسوية مطالب الإدارة الأميركية بمضاعفة المساعدات العسكرية لإسرائيل، والعمل على ترميم مكانة تل أبيب الدولية من خلال إثارة الفرع من الثورات العربية، عبر اجترار المزاعم التي تؤكد أن تولي الإسلاميين مقاليد الحكم في العالم العربي سيمثل ضربة قاصمة لاستقرار المنطقة، وهو ما يعني أن إسرائيل هي الدولة الوحيدة في المنطقة التي بإمكان الغرب، وتحديدًا الولايات المتحدة، الاعتماد عليها في تحقيق مصالحه^(٣٠). وقد اعتبر الكثير من المسؤولين الإسرائيليين أن مثل هذا السيناريو يفرض على الولايات المتحدة التوسع في دعم إسرائيل عسكريًا واقتصاديًا. وقد طالب وزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك الإدارة الأميركية بدفع عشرين مليار دولار إضافية لموازنة الأمن الإسرائيلية، إسهامًا منها في مساعدة إسرائيل على تحمل تبعات الثورات العربية على أمن إسرائيل القومي في المرحلة القريبة المقبلة، ولم يفنّه تذكير الأميركيين بأن استثمار هذا المبلغ سيعود بالنفع على الولايات المتحدة "لأن ضمان تفوق إسرائيل يمثل أحد عوامل الاستقرار في منطقة غير مستقرة"^(٣١).

ولقد سعت إسرائيل إلى توظيف فزاعة الإسلاميين في محاولات استمالة الحكومات الأوروبية إلى مواقفها. ولقد كثف نتنياهو من حديثه عن "منظومة القيم المشتركة" التي تربط إسرائيل بأوروبا، حيث حرص على أن يهمس في أذن كل مسؤول أوروبي يزور تل أبيب أن الثورات العربية تدلّ على أن إسرائيل "هي الدولة الوحيدة من بين دول المنطقة التي تربطها قيم مشتركة بأوروبا، فنحن أنتم وأنتم نحن، لدينا تراث مشترك، مستقبل مشترك"^(٣٢).

ثانيًا: التّهوين من دور الصراع العربي الإسرائيلي في التأثير في استقرار المنطقة، عبر الزعم أن اندلاع الثورات العربية يدلّ على أن حالة عدم الاستقرار في المنطقة مرتبطة أساسًا بالأوضاع الداخلية في العالم العربي، وأنه سواء تمت تسوية الصراع أم لم تتم، فإنّ هذا لن يضمن الاستقرار في المنطقة^(٣٣). ويفترض

^{٣٠} بورام إيتنغر، مرجع سبق ذكره.

^{٣١} "إيهود باراك: إسرائيل تدرس طلب ٢٠ مليار دولار كإضافة لموازنة الأمن"، ذي ماركر، ٨-٣-٢٠١١.

<http://www.themarker.com/misc/1,6,0,0,82>

^{٣٢} يوسي فيرتز، مرجع سبق ذكره.

^{٣٣} تم التشديد على هذا الاستنتاج من قبل الكثير من كبار قادة إسرائيل، وقد عبّر عن ذلك وزير الخارجية أفيغدور ليبرمان في مقابلة أجرتها معه القناة الثانية للتلفزيون الإسرائيلي في النشرة الإخبارية التي بثت الساعة الثامنة مساءً بتاريخ ١٤-٣-٢٠١١.

الإسرائيليون أن يستدعي هذا الاستنتاج إعادة تصميم السياسة الأميركية في المنطقة على أسس جديدة. وقد ترتب على ذلك السعي إلى تقليص قدرة الرئيس أوباما على الضغط على إسرائيل في كل ما يتعلق باستحقاقات التسوية مع الفلسطينيين والعرب، وذلك عبر تحميله قدرًا من المسؤولية عن تعاطم شأن "الجماعات المتطرفة" في العالم العربي، وإضعاف أنظمة "الاعتدال"، وبالتالي، فإن النخب الإسرائيلية اتهمت أوباما بتعقيد فرص التوصل إلى تسوية للصراع من خلال تردده في دعم نظام مبارك. ولقد ادعى السفير الإسرائيلي الأسبق في الولايات المتحدة الليكودي زلمان شوفال أن السياسة التي اتبعتها أوباما خلال الثورة المصرية تضرّ بفرص التوصل إلى تسوية للصراع مع العرب^(٣٤).

ويرى شوفال أن الرئيس بوش الابن بالرغم من حديثه عن ديمقراطية العالم العربي، إلا أنه لم يسع في الواقع إلى المسّ بأنظمة الحكم في العالم العربي كما فعل أوباما؛ معتبرًا أن محاولة الأميركيين الجسر بين "المثل الأميركية" والمصالح البرغماتية ستنتهي إلى حالة "انفصام سياسي"^(٣٥).

ثالثًا: إضعاف الرئيس أوباما داخليًا عبر تأجيج الرأي العام الأميركي ضده، وتصويره على أنه أسهم في توفير الظروف المواتية لسيطرة الإسلاميين على مقاليد الأمور في العالم العربي؛ والتشديد على أن تحقق هذا السيناريو سيضرّ بالمصالح الإستراتيجية للولايات المتحدة الأميركية ذاتها. ولقد زعم إيتنغر أن سياسة أوباما ستمكّن "الإسلام المتطرف من الإضرار بالمصالح الغربية في البحر الأحمر والقرن الأفريقي والسودان والأردن"، مُدعيًا أن هذه التحولات تأتي في ظلّ إقدام الولايات المتحدة على خطوات تعكس ضعفها، لاسيما سحب قواتها من العراق، وقرار إدارة أوباما تحديد موعدٍ للانسحاب من أفغانستان^(٣٦). ويحذّر إيتنغر من أن توفير الأرضية للإسلاميين للوصول إلى الحكم في ظلّ هذه التحولات سيكون مخاطرة كبيرة، مشيرًا في الوقت ذاته إلى أنه حتى لو لم يصل الإسلاميون إلى الحكم وظلّت بعض الأنظمة المساندة أميركا فإنها ستتأثر بالأجواء السائدة وستتخذ مواقف متشدّدة من إسرائيل والولايات المتحدة. ويصل الكاتب الإسرائيلي آرييه شفيت إلى حدّ "رثاء" الولايات المتحدة، بسبب الصعود المتوقع للإسلاميين، مستنكرًا أن الولايات المتحدة تنتظر

^{٣٤} زلمان شوفال، "اضطرابات في القاهرة: انفصام أميركي"، عن موقع وكالة "سما"، صحيفة إسرائيل اليوم، ١-٢-٢٠١١،

<http://www.samanews.com/index.php?act=Show&id=٨٧٢٦٧>

^{٣٥} المرجع نفسه.

^{٣٦} يورام إيتنغر، مرجع سبق ذكره.

المصير نفسه الذي انتهى إليه الاتحاد السوفييتي عام ١٩٨٩، معتبراً أنّ وصول الإسلاميين إلى الحكم يعني بداية "غرق" سفينة الغرب بأسره^(٣٧).

رابعاً: التشكيك في مدى التزام الإدارة الأميركية بأمن إسرائيل، لأنّها لم تتحرّك لإنقاذ حكم مبارك، على اعتبار أنّ إسقاط نظام مبارك، وما سيتبعه من مشاركة الإسلاميين في الانتخابات، يعني تهديد اتفاقية السلام مع مصر، التي تعتبر حيوية لأمن إسرائيل. وقد عبّر عن هذا التّصوّر بشكلٍ واضح دوف فايسغلاس، مدير ديوان رئيس الوزراء الإسرائيليّ الأسبق أرئيل شارون، والذي كان مسؤولاً عن تنسيق العلاقات الإستراتيجية مع واشنطن خلال حكم شارون. وعدّ فايسغلاس مشاركة الحركات الإسلامية في العملية السياسيّة في العالم العربيّ في مرحلة ما بعد الثّورات "مصيبية" لإسرائيل تتحمّل إدارة أوباما جزءاً كبيراً من المسؤولية عنها، مشدداً على أنّ السلوك الأميركيّ يتناقض تماماً مع التّصريحات التي تشدّد على الالتزام بأمن إسرائيل^(٣٨). ويرى فايسغلاس أنّ مشاركة الإسلاميين في إدارة شؤون الحكم في مصر ستفضي إلى زيادة التّطرف وخلق ظروف تعرّض للخطر استمرار وجود اتّفاق السلام الإسرائيليّ - المصريّ^(٣٩).

محاولة منع انهيار الصّورة النمطيّة عن الحركات الإسلاميّة

لقد حاولت النّخب الإسرائيليّة من خلال التّحذير من وصول الإسلاميين إلى الحكم، وتكرار زعم أنّ "تداعيات كارثية" ستترتّب على ذلك، منع انهيار الصّورة النمطيّة للإسلام والحركات الإسلاميّة التي حرص الكثير من المستشرقين في إسرائيل والغرب على تكريسها. ومن أجل تحقيق هذا الهدف، فقد أخذ بعض المفكرين الإسرائيليين يتصدّون للمراجعات الفكرية التي ازدهرت في الغرب تجاه الموقف من الإسلام في أعقاب الثّورات العربية. ولقد شنّ أستاذ الفلسفة في الجامعة العبرية اليمينيّ شاول روزنفيلد هجوماً حاداً على كلّ من مستشار الرّئيس أوباما لشؤون الإرهاب جون برنن، وجيمس كلافر مدير الاستخبارات الوطنيّة في الولايات المتّحدة، لأنّ الأوّل قال في محاضرة إنّ مصطلح "الجهاد" يعني شنّ نضال مقدّس يتمكّن المرء من خلاله من تخليص نفسه من الذّنوب وأنّه لا يوجد أيّ رابط بين الإسلام وقتل الأبرياء، بينما قدّم الثاني إفادة أمام الكونغرس اعتبر فيها أنّ تنظيم "الإخوان المسلمين" لا يتبنّى العنف وأنه يهتمّ بشكلٍ أساسيّ بالشؤون

^{٣٧} أرييه شفيت، "غرق الغرب"، هآرتس، ٢-٣-٢٠١١، <http://www.haaretz.co.il/hasite/spages/1213134.html>

^{٣٨} دوف فايسغلاس، "صفحة أميركية"، موقع "فلسطين اليوم"، عن يدعوت أحرّوت،

<http://paltoday.ps/arabic/News-100636.html>

^{٣٩} المرجع نفسه.

الحكم إذا لم يتصرّف وفق مصالح الأمة". وهو يرى أنّ هذه الفتوى تمثّل نقيضاً للفهم الكلاسيكيّ للدين السائد في كلّ من إيران والسعودية.

وإزاء الحملة الشعواء التي تحذّر من تداعيات إعادة تجربة الثورة الإسلاميّة في إيران، فإنّ هناك العديد من المعلّقين والمستشرقين الإسرائيليين وجدوا فروقا جذريّة بين ثورات التحوّل الديمقراطيّ في العالم العربيّ وبين الثورة الإسلاميّة في إيران. ويشير المستشرق يورام ميتال إلى حقيقة أنّ الثورة المصريّة لم تُحتكر من قبل الإسلاميين، بل شارك في حمل أعبائها فسيفاء من جماعاتٍ ومنظّماتٍ تؤيّد كلّها فكرة الدولة المدنيّة^(٤٧).

المفاضلة بين الإسلاميين والعلمانيين

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل حقاً أنّ دوائر صنع القرار في إسرائيل ترى في صعود الحركات الإسلاميّة للحكم خطراً على مصالحها يفوق مستوى الخطر الذي تشكّله مركبات الجماعة الوطنيّة في كلّ بلد عربيّ؟

إنّ التجربة العمليّة تدلّ على -عكس ما توحى به المواقف المعلنة الصادرة عنها- أنّ النّخب الحاكمة في إسرائيل تنطلق في تقييماتها الحقيقيّة لتأثير التيارات السياسيّة في العالم من واقع تجربة هذه التيارات العمليّة، وليس فقط استناداً لشعاراتها ومواقفها الأيديولوجيّة. ولعلّ أوضح مثال عن ذلك، ما كشفت عنه وثائق "ويكيليكس" التي أكّدت أنّ رئيس شعبة الاستخبارات العسكريّة السابق الجنرال عاموس يدلين أبلغ عدداً من أعضاء الكونغرس الأميركيّ أنّ إسرائيل مرتاحة تحديداً إلى سيطرة حركة حماس على قطاع غزّة، على اعتبار أنّ انفراد الحركة بحكم القطاع سيوفّر لإسرائيل فرصة متابعة ومراقبة قياداتها وأعضائها ومعرفة أماكن مكاتبهم ومنازلهم، تمهيداً لتصفيتهم بسهولة، في حال قرّرت إسرائيل الرّدّ على أيّ عمليات عسكريّة تُقدّم عليها الحركة، علاوةً على أنّ صعود حماس للحكم يمثّل فرصة تاريخيّة للتدليل على فشل تجربتها في الحكم^(٤٨).

فمن الواضح أنّ هذا التقييم الذي عبّر عنه في الغرف المغلقة رئيس شعبة الاستخبارات العسكريّة، يمثّل في الواقع التقييم الحقيقيّ لإسرائيل إزاء تجربة حركة إسلاميّة في الحكم، مع أنّ إسرائيل ظلّت ومازلت تهاجم

^{٤٧} يورام ميتال، "سلام للسلام"، يديعوت أحرنوت، ٣١-١-٢٠١١.
^{٤٨} "يدلين: يمكننا أن نتعامل مع القطاع ككيان معاد"، وكالة سما الإخبارية، ٢٠-١٢-٢٠١٠،
<http://www.samanews.com/index.php?act=Show&id=٨٤٠٦٩>

حكم حماس وتدعو لإسقاطه. وهذا يعني أنه يجب التعامل بحذر شديد مع التحذيرات الإسرائيلية من خطورة تولي الحركات الإسلامية مقاليد الأمور في العالم العربي كنتائج لثورات التحول الديمقراطي في العالم العربي. وقد دعا بعض الباحثين الإسرائيليين النخبة الحاكمة في تل أبيب إلى مساعدة حماس على حكم قطاع غزة على اعتبار أن أداء متطلبات الحكم سيفرض على الحركة ضبط وتيرة العمل المقاوم المنطلق من القطاع، بحيث لا يشكل مُسوِّغاً لإسرائيل لضرب مؤسسات الحكم والتضييق على الجمهور الفلسطيني لاحتها على التمرد على حماس. وقد اعتبر الباحث يغيل ليفي أن من مصلحة إسرائيل تعزيز شرعية حكم حماس من أجل مساعدة الحركة على فرض سيطرتها على الفصائل الأخرى لتمنعها من مواصلة العمل المقاوم من ناحية، ومن ناحية ثانية لتعزيز القيادة السياسية للحركة على حساب الذراع المسلح الذي يبدي تشدداً أكثر^(٤٩). وينصح الباحث عيرن شمشون القيادة الإسرائيلية بأن تسمح لحماس بحكم القطاع دون أن تعترف بها، على اعتبار أن ذلك يجعل هناك ما يمكن أن تفقده الحركة في حال تجاوزت الخطوط الحمراء في كل ما يتعلق بانطلاق المقاومة من قطاع غزة، سواء من قبل التنظيم المسلح للحركة أو من قبل غيرها من الحركات النشطة هناك^(٥٠).

تولي إسرائيل أهمية للمواقف الأيديولوجية والشعارات التي ترفعها التيارات السياسية المختلفة في العالم العربي، ومن بينها الحركات الإسلامية، لكن ممّا لا شكّ فيه أيضاً أن المعيار الأساس الذي تقيس به النخب الحاكمة في إسرائيل خطورة هذا التيار السياسي العربي أو ذلك يستند إلى مدى اقترابه من تحقيق نهضة حضارية، يكون أحد أهم مخرجاتها المسّ بالتفوق العسكري الإسرائيلي من جانب، وضمان جسر الهوة في المجال التكنولوجي مع الإسرائيليين، على اعتبار أنه دعامة أساسية لتعاظم القوة العسكرية والمنعة الاقتصادية، وذلك بغض النظر عن الخلفية الأيديولوجية للتيار الذي يقود مسيرة النهضة. لقد قامت إسرائيل بتدمير المفاعل الذريّ العراقيّ عام ١٩٨١ ومنشأة أبحاث نووية في سوريا عام ٢٠٠٧، مع أن البلدين كانا يُحكمان من قبل حزب البعث العثمانيّ، وها هي تل أبيب تبذل قصارى جهدها في سعيها لتجنيد العالم من أجل إحباط المشروع النوويّ الإيرانيّ.

^{٤٩} يغيل ليفي، "يجب تعزيز حكم حماس"، هآرتس، ٢٧-٣-٢٠١١، <http://www.haaretz.co.il/hasite/spages/12223268.html>

^{٥٠} عيرن شمشون، "لا للاعتراف بحماس لكن يجب السماح لها بالحكم"، موقع مركز الأبحاث "رنوت"، ٢٩-٤-٢٠٠٨، <http://reut-institute.org/Publication.aspx?PublicationId=3203>

لقد خُبرت إسرائيل بؤس الحلول العسكرية في مواجهة الحركات الإسلامية، إذ تبين أن النتائج المترتبة على هذه الحلول تكون محدودة للغاية. فعلى سبيل المثال، كشف يوفال ديسكين الرئيس السابق لجهاز المخابرات الإسرائيلية الداخلي "الشين بيت" أنه أوصى النخب الحاكمة في الدولة بشن حملة عسكرية بهدف إسقاط حكم حماس، لكنّه في الوقت نفسه أقرّ أن تحطيم حكم حركة حماس لن يؤدي إلى اقتلاع حبّها من قلوب الفلسطينيين، وهذا يجعل خيار إسقاط حكم حماس عملياً يفضي إلى خيارات أكثر مساوية بالنسبة إلى إسرائيل^(٥١).

إن كانت الأمور على هذا النحو، فلماذا إذن تتشبّث إسرائيل بفزاعة الحركات الإسلامية والإسلاميين؟

تدرك القيادات والنخب الإسرائيلية أنه في ظلّ الصورة النمطية السائدة عن الحركات الإسلامية في الغرب، فإنّه سيكون من السهل عليها التحريض على الثورات العربية من خلال تكرار الزعم أنّ هذه الثورات ستنتهي بسيطرة الإسلاميين. ومع ذلك ومنذ اندلاع الثورة المصرية، فإنّ جلّ ما استوقف الإسرائيليين من تصريحات ومواقف لقيادات وطيّة مصرية، كان تحديداً لقيادات علمانية. فقد عبّر يعكوف عامي درور، مستشار الأمن القومي لنتانياهو، عن انزعاج إسرائيل الشديد تحديداً من التصريحات التي أدلى بها أيمن نور مرشح الرئاسة العلمانيّ في مصر، والتي دعا فيها إلى إعادة تقييم اتفاقيات "كامب ديفيد"، بل إنّ درور أوضح أنّ إسرائيل ستعمل على إقناع الولايات المتحدة بعدم إجراء أيّ حوار مع أيّ جماعات علمانية مصرية تتخذ مواقف سلبية من "كامب ديفيد"^(٥٢).

ويكشف الصحافي أمنون أبراموفيتش النقاب عن أنّ معظم التقارير التي رفعتها أجهزة التقييم الإستراتيجي في تل أبيب لحكومة نتانياهو تؤكد أنّه في كلّ ما يتعلّق بإسرائيل، فإنّه لا يوجد فروق جوهرية بين التيارات الإسلامية والعلمانية في العالم العربي^(٥٣).

إنّ الإسرائيليين يدركون في الواقع أنّ الثورات العربية دفعت الحركات الإسلامية في العالم العربي إلى مواقف أكثر مرونة وواقعية، وأنّ هذه الحركات باتت تسعى لاعتراف المجتمع الدوليّ بها وذلك من خلال فتح

^{٥١} عكيفا إدار، "أقوال الألهة الحية"، هآرتس، ٢٥-٥-٢٠٠٩، <http://www.haaretz.co.il/hasite/spages/1087933.html>.

^{٥٢} وردت تصريحاته في النشرة الإخبارية التي بثتها القناة الثانية للتلفزيون الإسرائيلي الساعة الثامنة من مساء ٢٣-٥-٢٠١١.

^{٥٣} جاءت أقواله في تعليق ضمن نشرة أخبار الساعة الثامنة مساء في قناة التلفزيون الإسرائيلي الثانية بتاريخ ١٧-٣-٢٠١١.

حوارات مع الغرب وتحديدًا الولايات المتحدة. وبالتالي، فإن حملات التحريض على الحركات الإسلامية تهدف إلى تحقيق أحد هدفين: فإما أن تضيء هذه الحركات مرونة على مواقفها من إسرائيل والاتفاقيات الموقعة معها، وإما أن يتوقف العالم وتحديدًا الغرب عن الحوار معها، وهو ما يعمل ليس فقط على تآكل شرعية هذه الحركات الدولية، بل شرعية الثورات العربية.

لقد حاولت إسرائيل رفق تحريضها على الحركات الإسلامية بمسوغين أساسيين، فمن ناحية اعتبرت أن وصول الإسلاميين إلى الحكم يعني دخول المنطقة مرحلة من عدم الاستقرار، بسبب موقفهم المبدئي الرافض للسلام مع إسرائيل، ومن ناحية ثانية زعمت أن الإسلاميين يناصبون الديمقراطية وقيمها العدا. وبالتالي، فإن أنظمة الحكم التي سيقومونها في أعقاب الثورات العربية ستكون أكثر سوءاً من الأنظمة الديكتاتورية القائمة.

إن السؤال الملح هو: هل كان السلوك الإسرائيلي يثني باحترام تل أبيب لهذا "السلام"؟ ألم يهدد وزير الخارجية الإسرائيلي الحالي بقصف السد العالي في وقت سابق، ألم يتم توجيه الإهانات لمبارك من على منبر الكنيست (٥٤)؟ ألم تحرض الكثير من الأوساط الإسرائيلية الكونغرس الأميركي على فرض عقوبات على نظام مبارك، الذي يوصف بالحليف الإستراتيجي، عندما وجه انتقادات عابرة للسلوك الإسرائيلي؟ ألم تتحدث إسرائيل دومًا عن كراهية المصريين بشكل عام لها؟

إن النخب الحاكمة في إسرائيل تدعي أن صعود الإسلاميين للحكم سيسدل الستار على أي إمكانية للتوصل للسلام مع العالم العربي، في حين أن هناك الكثير من الشهادات لمسؤولين إسرائيليين تؤكد أن الجماعات الدينية اليهودية تحديدًا، هي التي تسهم بشكل كبير في جعل التسوية مع العرب ضربًا من ضروب المستحيل (٥٥). لقد سمح النظام السياسي الإسرائيلي للمرجعيات الدينية اليهودية بالتحريض على إحباط مشاريع التسوية التي تطرح لحل الصراع، وسمح لها أيضًا بالدعوة لقتل الشيوخ والنساء والأطفال

^{٥٤} لقد علّق ليبرمان عندما كان يشغل منصب نائب رئيس الوزراء في حكومة أولمرت المؤقتة (٢٠٠٦)، من على منبر الكنيست، على عدم تلبية مبارك دعوة لزيارة إسرائيل، بالقول: "فليذهب إلى الجحيم!"

^{٥٥} لقد أكد وزير القضاء الإسرائيلي الأسبق يوسف لبيد، الذي كان عضو المجلس الوزاري المصغر لشؤون الأمن في حكومة أرئيل شارون (٢٠٠٣-٢٠٠٦) أنه اكتشف أن أي حكومة إسرائيلية لا يمكنها أن توقع على تسوية سياسية تقوم على مبدأ الانسحاب من الضفة الغربية وتفكيك المستوطنات بسبب المقاومة التي سيديها التيار الديني في إسرائيل، الذي يشكل جمهوره جل الجمهور الذي يقيم في المستوطنات. وجاءت أقواله في مقابلة مع الإذاعة الإسرائيلية باللغة العبرية بتاريخ ٢٤-٧-٢٠٠٥.

الفلسطينيين، دون أن تتعرض هذه المرجعيات للمساءلة والعقاب^(٥٦). إنَّ الرأْيَ العامَّ الإسرائيليَّ هو الذي يتبنَّى مواقف بالغة النُّطْرَف من حلِّ الصِّراع الفلسطينيِّ الإسرائيليِّ^(٥٧).

وفيما يتعلَّق بالديمقراطيَّة، فإنَّنا نجد أنَّ الحركات الإسلاميَّة في العالم العربيِّ تتبنَّى مواقف متقدِّمة جدًّا من الديمقراطيَّة وقيمها، مقارنة بالحركات الدِّينيَّة اليهوديَّة، لاسيَّما تلك التي تمثِّلُ في الائتلافات الحاكمة. فقد أعلنت جماعة "الإخوان المسلمين" في مصر التزامها بفكرة الدَّولة المدنيَّة، بشكل واضح^(٥٨)، في حين تدعو المرجعيات الدِّينيَّة اليهوديَّة الرئيِّسة بشكلٍ صريحٍ للفظ قيم الديمقراطيَّة في حال تعارضت مع تعاليم الثَّورة^(٥٩).

ولا مجال هنا للحديث عن التَّمييز على أساس الدِّين والعرق الذي تمارسه إسرائيل ضدَّ فلسطينيِّي ٤٨، والقمع الذي يتعرَّض له الفلسطينيون الواقعون تحت الاحتلال الإسرائيليِّ في الضَّفة الغربيَّة وقطاع غزَّة. لكلِّ هذا، لا يحقَّ لإسرائيل -من ناحية أخلاقيَّة- أن تعرَّض نفسها كما لو أنَّها حريصة على السَّلام والديمقراطيَّة في سعيها لشيطننة الثَّورات العربيَّة لأنَّها قد تفضي إلى سيطرة الإسلاميين على مقاليد الأمور بسبب موقفهم من النَّسوبة والديمقراطيَّة.

الخاتمة

لقد أدركت إسرائيل أنَّ ثورات التَّحوُّل الديمقراطيِّ التي تجتاح العالم العربيِّ تمثِّلُ نهاية مرحلة من مراحل الصِّراع مع العرب. وتعي النَّخبة الحاكمة في إسرائيل أنَّ هذه الثَّورات قد أبطلت الكثير من المسلَّمات التي مثَّلت منطلقاتٍ للسياسة الإسرائيليَّة تجاه العالم العربيِّ، وهددت بالتَّالي القواعد التي حكمت السلوك الإسرائيليِّ إزاء العرب حتَّى الآن، وفتحت الباب على مصراعيه أمام الكثير من التَّحوُّلات التي يمثِّلُ بعضها تحدياتٍ إستراتيجيَّة من الطراز الأوَّل للدَّولة العبريَّة.

^{٥٦} بالإمكان الاطلاع على تفاصيل أكثر في: صالح النعامي، "إسرائيل وصناعة الفتوى"، الجزيرة نت، ١-١٢-٢٠٠٩،

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/٥٩٨F٦BA٢-٤D٢٣-٤٨EF-A٣٢B-٦F٦٠٦٤٣٧٠DEA.htm>

^{٥٧} انظر مثلاً: أسعد غانم وأنطوان شلحت، "مواقف السكان اليهود في فلسطين إزاء مواضيع مختلفة متعلِّقة بالنزاع الإسرائيلي الفلسطيني"، قضايا إسرائيلية، مجلد ٥، عدد ١٩، ٢٠٠٥، ص ١٧-٣٦.

^{٥٨} عصام العريان، "الإخوان المسلمون ومفهوم الدولة"، شبكة فلسطين للحوار، ٢-١-٢٠١٠،

<http://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=٥٤١٥٣٧>

^{٥٩} كوبي نحشوني، "الحاخام ليفانوف: الحاخام ملزم بالثورة وليس بالديمقراطية"، يديوت أحرنوت، ١٤-١٠-٢٠١٠،

<http://www.ynet.co.il/Ext/Comp/ArticleLayout/CdaArticlePrintPreview/١٠٢٥٠٦L-٣٩٦٩٢٠٨٠٠.html>

لقد اختصر موشيه يعلون^(٦٠) المأزق الذي تعيشه إسرائيل في أعقاب الثورات العربية، عندما قال راثيا النّظام الرّسمي العربيّ الذي يمرّ بمرحلة تصدّع: "الجنيّ الذي تعرفه خير من الإنسان الذي لا تعرفه"^(٦١).

من هنا، فقد وجدت إسرائيل أنّه عليها محاربة الثّورات العربيّة من خلال التّشكيك في مآلاتها. ولم تجد وسيلة أفضل من توظيف فزاعة الحركات الإسلاميّة، وتعميم انطباع مفاده أنّ هذه الثّورات ستفضي إلى سيطرة الإسلاميين على مقاليد الأمور في العالم العربيّ، معتقدة أنّ الصّورة التّمطيّة السّائدة عن الحركات الإسلاميّة ستضمن لها تحقيق الأهداف التّالية:

١- إقناع القوى المؤثّرة في العالم بالتّريث وعدم التّدخل بشكل فاعل لإنجاح الثّورات التي تعتمل حالياً في أكثر من قطر عربيّ بذريعة أنّ نجاحها وإسقاط الأنظمة الديكتاتورية فيها قد يفضي إلى تولّي الإسلاميين مقاليد الحكم فيها. ومن جانب آخر، إقناع القوى العالميّة بممارسة ضغوطٍ على النّخب التي تولّت مقاليد الحكم في الدّول التي نجحت فيها الثّورات لتقييد النّظم السياسيّة المتبلورة فيها، بحجّة أنّ هذه ضرورات تمليها الوقاية من خطر الإسلاميين^(٦٢).

٢- توفير مسوغات لتبرير مواقف إسرائيل الرّافضة لمشاريع التّسوية التي تُطرح لحلّ الصّراع.

٣- تعزيز مكانة إسرائيل لدى الغرب وتحديدًا الولايات المتّحدة استنادًا للحجّة الإسرائيليّة القائلة إنّ الثّورات العربيّة أثبتت أنّ إسرائيل هي الدّولة الوحيدة التي بإمكان الغرب الاعتماد عليها، وما يترتّب على ذلك من تسوية المطالبة بدعم اقتصاديّ وعسكريّ بحجّة حماية إسرائيل من تداعيات هذه الثّورات.

٤- محاولة منع تغيير الصّورة التّمطيّة السّائدة لدى الغرب عن الإسلام والحركات الإسلاميّة.

٥- إعاقة توافق مكّونات الجماعة الوطنيّة في كلّ قطر عربيّ على برامجٍ وطنيّة تضمن إتمام عمليّة تحوّل ديمقراطيّ حقيقيّة، تمثّل متطلبًا أساسيًا يسبق أيّ نهضة تفضي إلى المسّ بميزان القوى القائم بين العرب وإسرائيل.

^{٦٠} نائب رئيس الوزراء، الوزير المكلف بمواجهة التهديدات الإستراتيجية، رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي سابقاً.

^{٦١} وردت تعليقات يعلون في مقابلة مع إذاعة الجيش الإسرائيلي في نشره الساعة السابعة صباحاً بتاريخ ٢٠١١-٢٠١٤.

^{٦٢} "نتنياهو يحدد خطوطاً حمراء للثورة المصرية وأوباما يضمنها"، مجلة الوعي العربي، ٢٠١١-٣-٥.

<http://elw3yalarabi.org/modules.php?name=News&file=article&sid=٩٥٧١>

إنّ ما تقدّم يفرض على مكوّنات الجماعة الوطنيّة في كلّ قطر عربي، وضمنها الحركات الإسلاميّة، إبداء أقصى درجات الحذر، والإسراع بالتّوافق على برامج وطنيّة، تضمن إنجاز مهمّة التّحوّل الديمقراطيّ، مع كلّ ما يتطلّب ذلك من إبداء أقصى درجات المرونة اللاّزمة لتحقيقه.

إنّ على مختلف التّيّارات السياسيّة في العالم العربيّ التي تؤمن بأهميّة القطيعة مع عصر الطّغيان والاستبداد، أن تدرك أنّ إنجاز التّحوّل الديمقراطيّ يتطلّب بذل أقصى جهد ممكن لتقويت الفرصة على إسرائيل، ومنعها من تجنيد القوى العالميّة لإعاقة فتح صفحة جديدة تفضي إلى إنجاز المشاريع النهضويّة التي تغيّر مسار الصّراع مع كيان الاحتلال.